مركز المرأة العربية للتدريب والبحوث	الموضوع : المرأة في النزاع المسلح	الرقم : 005/9.1
	المصدر : الصباح	موقع الواب :	البلد : تونس
	التاريخ : 2010-06-03	العدد و [ص] :

حماية المرأة زمن الحرب بين التشريع والواقع(3/3)

واقع المرأة العربية في ظل الحروب

سارة الحطاب *

تعد حماية الإنسان (مهما كان جنسه أو لونه أو عرقه أو دينه) من آثام الحروب وشرورها الغاية العظمى للقانون الدولي الإنساني وللمجتمع الدولي المتفق حول مكارم السلم والحوار ونبذ التصادم والنزاعات.

ولا يمكن للحرب أن تكون إنسانية حتى ولو كانت مشروعة ودفاعية ، فمشروعيتها صفة قانونية أما آثارها فواقع ملموس واليم (12). ويتجلى هذا الواقع اليوم في عدد من مناطق العالم وفي المنطقة العربية حيث مازالت المرأة الفلسطينية بالخصوص تتكبد ويلات الحروب والنزاعات وتقبع في السجون والمعتقلات الاسرائلية (ا) ومن جهة أخرى ورغم كل أحلام الحرية والأوهام التي تم تسويقها إلى الشعب العراقي قبل اسقاط الحكم السابق في العراق إلا أن حال المرأة العراقية ليس أفضل من حال المرأة الفلسطينية في شيء (ب) لذلك يتعين بحث هذين النموذجين في المنطقة العربية .

أ- واقع المرأة الفلسطينية:

تتابع اسرائيل عمليات التنكيل بالشعب الفلسطيني بمرأى ومسمع المجتمع الدولي وذلك بالرغم من أنها طرف في عدة معاهدات دولية لحقوق الإنسان من بينها اتفاقيات جنيف الاربع لسنة 1949. وتقدم دولة الاحتلال الحجج القائلة بان الالتزامات المترتبة عليها بموجب المعاهدات الدولية لحقوق الإنسان التي تشكل طرفا فيها لا تنطبق على الاشخاص المقيمين في الاراضي المحتلة (13) .

وتشهد الاراضي الفلسطينية المحتلة منذ سنة 2000 انتفاضة شعبية دموية ضد استمرار الاحتلال الإسرائيلي على الأرض والإنسان الفلسطيني والانتهاك الصارخ والواضح لحقوق الإنسان، وقد استخدمت إسرائيل في هذه الانتفاضة قوة عسكرية كبيرة أسفرت عن استشهاد وجرح الآلاف من المدنيين الأبرياء من أطفال ورجال ونساء وشيوخ إلى جانب تدمير البنى التحتية والاقتصادية.

فما من شك في أن تعريض حياة أكثر من 3 مليون و800 الف شخص للخطر والإهانة وإغلاق الطرقات وإقامة الحواجز لمنع وصول الفلسطينيين إلى أعمالهم هو دليل واضح على انتهاك حقوق الإنسان.

وتعد المراة الفلسطينية في هذا السياق من ضمن ابرز المتضررين حيث تقتل العديد من النساء وهن في طريقهن إلى العمل وتتعرض المراة في الأراضي المحتلة إلى مضايقات واعتداءات واستفزازات متكررة من طرف المستوطنين والى تحرشات جنسية من قبل الجنود والمجندات المراهقين المدججين بالسلاح الاوتوماتيكي والرشاش وخصوصا الحواجز.

كما يهدد المحققون الاسرائيليون المراة الفلسطينية بالاعتداء الجنسي والاغتصاب لإجبارها على الاستسلام وتقديم الإعترافات متستغلين وضعها كامراة .

ويمثل التهديد النفسي ايضا احد الأساليب الدنيئة المستخدمة ومن بينها ضرب الأخ أو الزوج أو التهديد بقتل احد الاقارب أو إحضار الأب للسجن لإقناع ابنته بالاعتراف فضلا عن وضع المراة في زنازين العزل الانفرادية وسط الظلام بعيدا عن الضوء حيث لا ترى الليل أو النهار.

وتوضع الأسيرات الفلسطينيات ضمن مجموعات في غرفة صغيرة لا تتوفر بها أدنى شروط الصحة والسلامة كدورات المياه أو المغسل لساعات طويلة. كما توضع ضمن مجموعة من النساء ذوات السوابق الأخلاقية والجنائية أو ذات سوابق أمنية وذلك بغية كسر إرادتها والحد من عزيمتها وإجبارها على الاعتراف.

ويتم انتهاج سياسة العقوبات الجماعية أو الفردية من خلال منع الأهالي من زيارة أبنائهم وبناتهم فضلا عن توخي التعذيب الجسدي الظاهر وذلك من خلال الضرب وصب الماء البارد...

وقد منعت إدارة السجون الأسيرات من آداء الصلاة الجماعية ليوم الجمعة وممارسة الشعائر الدينية وهو ما يتنافى تماما مع حرمة المعتقد.

ومن جهة أخرى وفي ما يتعلق بالجانب الصحي أفاد 40 فاصل 1 بالمائة من الأسر الفلسطينية أن الحصار الإسرائيلي كان عائقا للحصول على الخدمات الصحية.

كما لوحظ إهمال طبي في طريقة المعالجة والتعاطي مع الحالات المرضية إذ لايتم إعطاء المراة سوى مهدئ طفيف مثل / / الأكامول / / حتى في الحالات الخطيرة والمستعصية.

وفي المجال التربوي يتواصل تعرض عديد المدارس للإغلاق وأخرى للتدمير كما يتواصل قتل العديد من الطلبة والطالبات. (14)

وقد أكدت السيدة ليلى بن علي رئيسة منظمة المراة العربية في حديث أدلت به الى صحيفة / / الشرق الاوسط / / الصادرة بلندن بتاريخ 21 اكتوبر 2010 ان مقترح بعث لجنة المراة العربية والقانون الدولي الانساني جاء اساسا، في سياق الوعي بمعاناة المراة العربية وخاصة منها المراة الفلسطينية لما تتكبده من قهر وانتهاكات وأسر وشتى أشكال الإذلال والإهانة التي تنتهجها سلطة الاحتلال الإسرائيلي.

وأفادت أن هذه المبادرة تتنزل في صميم الحرص على ترجمة التضامن المطلق مع المراة والشعب الفلسطيني، وشد أزرهما في مواجهة الأوضاع المأساوية والمعاناة الشديدة التي يعيشانها في ظل العدوان والحصار المسلط عليهما.

وأعربت عن الأمل في أن تكون هذه اللجنة من بين الآليات العملية الناجعة المساعدة على التحرك على الصعيد الدولي، ولدى المنظمات والهيئات الإقليمية والدولية من أجل نقل الصورة الحقيقية عن أوضاع المراة والطفولة في فلسطين ودعوة هذه الهيئات الأممية إلى توفير الأمن والحماية للشعب الفلسطيني عامة.

وأكد بيان صادر عن المنظمة العربية للمراة بمناسبة الاحتفال باليوم العربي للمراة الموافق لـ 1 فيفري من السنة الجارية أن إنشاء لجنة المراة العربية للقانون الدولي الإنساني يتنزل في إطار ما تصبو إليه السيدات الأول عضوات المجلس الأعلى لأن تكون منظمة المراة العربية رافدا للجهود العالمية والإقليمية والوطنية الهادفة إلى الدفاع عن القانون الدولي الإنساني والحث على احترامه ونشر ثقافته لفائدة المراة.

إن معاناة المراة الفلسطينية كما أكدت ذلك السيدة ليلى بن علي رئيسة منظمة المراة العربية في تقديمها للتاليف الصادر عن منشورات صوت المراة العربية بعنوان / / العنف ضد المراة بين سطوة الواقع وتكريس القيم الانسانية / / : « تدعونا الى وقفة تضامنية عملية واعتماد مقاربة مخصوصة للعنف الممارس ضد المراة الفلسطينية تكفل حمايتها واسرتها وتمكنها من اسباب الصمود والبقاء على ارضها، مقاربة خصوصية تنطلق من حقيقة ان الاحتلال يبقى ابشع مظاهر الاستهانة بالذات البشرية والنيل من كرامتها من ابرز عناوين الاستهتار بالقيم الانسانية واشد أشكال العنف فتكا بالشعوب وفي مقدمتها المراة.» (15)

على ان المراة الفلسطينية ليست الهدف الوحيد للاحتلال في المنطقة العربية إذا ما أخذنا بعين الاعتبار واقع المراة العراقية وما تتكبده من معاناة جراء النزاعات والتوترات.

(ب)–واقع المراة العراقية:

تعاني المراة العراقية من تزايد العنف الموجه ضدها، وقد كشف استطلاع للرأي شمل 1200 امراة في العراق ان 64 بالمائة منهن اكدن تصاعد أعمال العنف ضدهن بعد سقوط النظام العراقي السابق.

ووفقا لنتائج الاستطلاع قالت أكثر من 76 بالمائة من المشاركات بان فتيات من عائلاتهن تم حرمانهن من الذهاب إلى المدرسة.

واعزت منظمة عراقية غير حكومية تعنى بحقوق الإنسان والحريات الدستورية في العراق ارتفاع نسبة العمليات الانتحارية التي نفذتها نساء عراقيات في الاونة الاخيرة الى تهميش المراة وسوء الاوضاع المادية المعيشية وتفشي البطالة.

وأشار / / مرصد الحقوق والحريات الدستورية / / إلى أن هذه الأسباب مجتمعة دفعت العديد من النساء العراقيات إلى تفجير انفسهن سواء باستهداف أناس عاديين أو مسؤولين في مناطق متفرقة من البلاد.

كما افاد التقرير بان نحو مليون ارملة ومئات الآلاف من المطلقات اللواتي تركن بلا معيل أو ضمان مادي مع تعقيد الإجراءات الخاصة بالرعاية الاجتماعية وعدم كفايتها لاحتواء معاناة هذه الأعداد من النساء المهمشات مثلت إحدى الأسباب التي دفعت بعض النساء الى الانتحار بهذه الطريقة (16)

ومن جانبها دعت / / بعثة اللجنة الدولية للصليب الاحمر في العراق / / إلى تجنيب المراة آثار الحروب والصراعات والى اتخاذ إجراءات ضرورية لمعالجة مشكل تزايد إعداد الأسر التي تعيلها نساء (17).

واكد مراقبون أن المراة العراقية وان حققت مكاسب تليق بادوارها في المجتمع بعد سنوات من بدا الحرب على العراق الا انه يتعين كشف جوانب معاناتها والمطالبة باسترجاع حقوقها وانصافها بدلا من مواصلة قمعها واضطهادها بابشع الاشكال الهمجية حيث لا يمر اسبوع دون سماع اخبار عن المآسي والعنف والاضطهاد الذي مازالت تتعرض له المراة العراقية من الشمال إلى الجنوب دون استثناء.

وهناك عشرات الآلاف من المشردات اللاتي يعشن حالة الغربة الداخلية عن بيوتهن ومناطقهن، حيث هجرن وعائلاتهن إلى مناطق أخرى في ظل ظروف اشد قسوة وعذاب بسبب التناحر بين القوى الطائفية، مما أدى أيضا إلى هروب الآلاف منهن وعائلاتهن من العراق إلى بلدان الجوار.

وفي السياق ذاته أشار تقرير صادر عن / / منظمة حقوق المراة / / في العراق وهي منظمة تهتم بالدفاع عن حقوق المراة العراقية، وتصدر تقارير شهرية بشكل دوري عن تعرض المراة لأعمال العنف والقتل الطائفي، إلى أن هناك 300 الف أرملة في العاصمة بغداد وحدها الى جانب اربعة ملايين امراة في مختلف انحاء العراق، وهذا يعني ان عدد الأرامل يشكل نسبة كبيرة من عدد سكان العراق.

ولعل اخطر ما تعرضت له المراة العراقية كان في محافظة البصرة جنوب البلاد التي شهدت مقتل المئات من النساء خلال الخمس سنوات الماضية.

الخاتمة:

يتعين في الأخير الإقرار بوجود عديد العوائق الموضوعية الخطيرة أمام نشر ثقافة القانون الدولي الإنساني وثقافة حقوق المراة لعل من اهمها تعطيل الدور الأساسي الذي يضطلع به الإعلام وأحيانا التعتيم الإعلامي المدروس عما يحدث في المعارك ومواطن القصف وتعطيل العمل الصحفي والإنساني لغايات سياسية.

ولايمكن هنا إلا التعبير بكل استياء عن الاستغراب من ازدياد عدد الصحفيين والإعلاميين رجالا ونساء الذين يلاقون حتفهم او يصابون بالجروح او يختطفون في ميدان القتال بهدف طمس الحقائق وتظليل الراي العام الوطني والدولي ومنع نشر ثقافة الشرعية والسلم.

إن حقوق المراة تتطلب حماية خاصة في ظرف النزاع المسلح وتستدعي الاستمرار في تحسين صورة المراة والقضاء على كافة أشكال العنف والتمييز ضدها من خلال تضافر جهود مختلف المعنيين من حكومات وجمعيات مدنية واهلية المعنية بشؤون المراة وذلك بتكثيف برامج التوعية والتثقيف والدفع باتجاه سن القوانين والسهر على تطبيقها بما يكفل حرمة المراة العربية الجسدية والنفسية والمادية إلى جانب إحداث الآليات المساعدة والمساندة للضحايا.

على أن الاهتمام بهذه المسالة يتطلب أيضا عناية ومجهودات إضافية من قبل المراة نفسها وذلك من خلال وعي المراة بحقوقها ومطالبتها بتكريسها على ارض الواقع.

«فصمت المراة على قدر ما يلحق بها من أذى شكل من أشكال المشاركة في استدامة الظاهرة وقبول ضمني باستمرارها ان لم يكن استفحالها في حين أن استنجادها بالقائم من القوانين والتشريعات التي تكفل حمايتها شكل من أشكال مقاومة الظاهرة ورد الحجب والستائر التي تتخفى وراءها.» (18)

« وما كانت الحرب تبدأ في عقول الرجال والنساء ففي عقولهم يجب أن تبنى حصون السلم». وهو ما يعني ضرورة تربية المجتمعات على التوقي من آثام الحرب وشرورها مع التشجيع على ثقافة السلم تشجيعا نشيطا يجنب الشعوب العنف ويكفل احترام حقوق الإنسان ويعزز التضامن والحوار بين الثقافات ويدعم المشاركة الديمقراطية وحق الرجل والمراة على قدم المساواة في التنمية وبناء المجتمعات.

12– amnesty–arabic.org عن محمد عزيز شكري المرجع السابق ذكره، من الموقع الإلكتروني:

13 – www.icrc.org

14– مجلة الكريديف (مركز البحوث والدراسات والتوثيق حول المراة، تونس) العدد 40 جانفي 2010، ص 78–79.

15– العنف ضد المراة بين سطوة الواقع وتكريس القيم الإنسانية، منشورات صوت المراة العربية، تاليف مجموعة من الباحثين، تونس

16 – www.moheet.com – 2009

17 – www.icrc .orgc

18 – من تقديم كتاب العنف ضد المراة بين سطوة الواقع وتكريس القيم الإنسانية، مرجع سبق ذكره، ص 10

* اعلامية وباحثة مختصة في القانون الدولي الإنساني